

التجربة البرلمانية بمنظار فتاة برلمانية

لقد أضحى برلمان الطفل من **المكاسب الهامة للطفولة** باعتباره فضاء رحبا، يتمكن فيه الأطفال البرلمانيون من الإشعاع والنشاط في سبيل نشر ثقافة حقوق الطفل. فهو في ظاهره مرآة تواصل وتفاعل بين الطفل والطفل، وفي جوهرة ينبوع إرادة سياسية متجدّرة تسعى إلى توسيع دائرة **مشاركة الطفل في الخيارات العامة والحياة المدنية والسياسية**. ولعلّ خير من يجسّد مزايا هذه الحلقة الوسطى الرابطة بين الطفل والحكومة، تجربة فتاة برلمانية ترسّخت في ذهنها مجموعة من القيم النبيلة لدى احتكاكها برلمان الطفل أولاً والنّادي البرلماني ثانياً وليس أخيراً. فما تجلّيات انعكاسات هاته التجربة البرلمانية والمبادئ المتجدّرة التي خلّدتها في نفسها؟

إن التجربة البرلمانية عزيزي القارئ واحة سلام وحنّة عدن منها يلجُ الطفل إلى فردوس المعرفة يستشرف آفاقها وإلى بستان العلم يقطف أزهاره، وما أحوج الإنسان إلى الثقافة في عصر العلم والتطور! لماذا يا ترى؟ لأنّ هذه التجربة سعت إلى مزيد **تدعيم التحوار مع الأطفال** وإغناء معارفهم وإثراء ثقافتهم في إطار مسائل تتعلّق بالمواطنة والديمقراطية والهوية. إنّ **الطفل كائن فعّال قادر على الإبداع** في ميادين مختلفة ولكن أحيانا نجد أعماقه نفور وأفكاره تتلاطم وتغلي هاته الصور غليان القدر، فهي بأمرّ الحاجة للمكاشفة، إلى دفعة صغيرة نحو الأمام حتى تُزيل الستار عنها، وتكشف عن بواطنها، وكلّما كان الطفل أكثر تواصلًا مع الآخر كانت قدرته على اكتشاف عيوبه وحسناته أفضل. وهكذا أُلقيتُ برلمان الطفل خير ذريعة يجارب بها الطفل تقوقعه وانباتاته وانطوائه، مميّطاً اللثام عن أفكاره وآرائه من خلال الكلام أو الرسم أو الكتابة وغيرها كوسائل تواصل واتّصال بين الطفل والطفل وبين الطفل والآخر، لترسيخ **الاندماج في الحياة السياسية والاجتماعية، وتجذير التفاعل الثقافي** والقدرة على وضع تصوّرات وبرامج ونقلها في قالب بسيط يستسيغه المتقبّل، وبالتالي تنبت في نفس الطفل القدرة على **جودة البيان وفصاحة اللسان وبلاغة الكلام**، فتندقق الكلمات كالشلال من بين شفتيه قائلاً في حماسة الأبطال الشجعان بلسان عربيّ فصيح كلاماً، يقول فيبدعُ، ويتكلّم فيفجّمُ، ويعرّفُ من أين تؤكل الكتفُ متحدّياً عبارة "الإقناع غاية لا تُدرَكُ" متيقّناً أن عمق الفكر وسداد الرّأي حصلتان لا تتوفّران إلاّ لمن حرص على تثقيف نفسه وتنمية زاده الفكري، مُدرِكاً أنّ في ذلك جمال وعظمة وبهاء نورانيّ يرتقي بالفرد إلى سلّم التقدّم والتطور، وهي مرتبة يبلغها الطفل فيستشعر قيمته الجليلة، ويطوّر مواهبه ويصقلها، حتّى يُفيد وطنه. لقد جذرت في نفسي هاته التجربة البرلمانية أن الكلام هو سرّ نجاح البشرية وتقدّمها، أنّ جل التاريخ حققه أولئك الذين رفضوا الصّمت: أولئك الذين رفضوا الفم الذهبي المغلق، ولا أبالغ إن قلت أن هذا هو سرّ تقدّم الشعوب، فالقوة الحقيقية للقلم هو أن الكلام ميزة الإنسان الأبدية، فلنمزّق حبل الصّمت! لقد **تنوّعت الأنشطة البرلمانية** وتعدّدت ولكنها أجمعت على اتّخاذ

الطفل همزة وصل ووسيط تربطه عدّة مسائل كالتربية والصحة والثقافة والترفيه وظروف العيش والرياضة والأسرة، أي اتّخاذ مواضيع من قبل الأطفال البرلمانيّون شغلت حيزًا كبيرًا من تفكيرهم، كانت محلّ اخذ وردّ كمشغل هام من شواغل الإنسان المعاصر، ليتمّ معايشة هذه المسألة أو تلك عن كتب **كمعالجة مواضيع التدخين والطفل في علاقته بالبيئة وكذلك بعلاقته بوسائل الإعلام**، حتى تُتاح للطفل الفرصة للتكيّف والتأقلم مع مقتضيات العصر، وخلق سبيل يمكنه من التواصل وتممين تجربته والاستفادة منها على نطاق واسع فيه احتكاك بمكوّنات المجتمع المدني. ومن هاته الأنشطة المتنوّعة على الصعيدين الاجتماعي والثقافي، **زيارة ميدانية للمستشفيات ودور المسنّين وقرى الأطفال والمهرجانات وتنظيم مباريات ثقافية في المدارس وزيارات تثقيفية ترفيهية لمدينة العلوم** على سبيل المثال لا الحصر، وكل ذلك في كنف المحبة والتفاؤل، يلمع فوق رؤوس البرلمانيّين الأطفال كوكب الشبيبة للناضر ينبسط أمامهم المستقبل الزاهر بقيادة راعي الطفولة سيادة الرئيس زين العابدين بن علي نمضي قدما نحن أعضاء برلمان الطفل وفي قلوبنا عشق الأرض واخضرار الأمل، يحدونا في ذلك قول **الشاعر نزار القبّاني**:

يا تونس اخضراء جنّتكِ عاشقا وعلى جبيني وردة وكتاب

حرية العينين يا قرطاجه شاخ الزمان وأنت بعد شباب

ونعم تلك الصلّة الرابطة بين الطفل وأعضاء الحكومة من وزراء وغيرهم أو بالأحرى هذا التواصل الجميل بين جيلين يشتركان في عملهم على قدم وساق وسعيهم الدؤوب لرفع راية تونس الحبيبة عاليا فوق ذُرّ القمرين، يمليه عليهم حبّهم لتراب الوطن واطمئنانهم لاستقرارهم بتونس والاستمتاع بجمال الحياة التي تلقاك بدفتها وتسقيك من منهلها كأس الحب كي تترشّفه رشفة رشفة. أو ليسَ هذا فردوس الدنيا؟
يجب ألاّ أغفل عن دور التفاعل الثقافي الذي خلّده في نفسي هاته التجربة البرلمانية باعتبار الآخر نافذة تُطلُّ لفتحها فتغدو مرآة تعكس لنا جمالنا وقبحنا فضائلنا وذنائبنا محاسننا وسماتنا، لنقيم علاقة موازنة بين التقليد والتجديد، الإبداع والإتباع، النمطيّة والتغاير. هذا علاوة على نشر ثقافة حقوق الطفل من خلال **"اتفاقية حقوق الطفل"** وكذلك رفع شعار اللاعنّف إبّان وضع **"ميثاق اللاعنّف"** وكلّها قيم نبيلة سامية تجذّرت في نفسي لاحتكاكي ببرلمان الطفل مدرسة الغد. أليس هذا جمال لا نظير له،؟ وفتنة لا صنو لها؟ هذا بالإضافة إلى ما دفعتني هاته التجربة القيّمة إلى نشر هاته الأخلاق في نفوس أصدقائي وصديقاتي زملائي وزميلاتي بمعهدتي النموذجي بتونس وتبليغهم الرسالة التي تلقّيتها لإخراج جيل نموذجي وشباب يستعدّ لمستقبل واعد ساعيا إلى المحافظة على **تونس نجما متألقا على الدوام**، وباعتبار **العلم نورا** وعبادة، وتقديس العمل واجب، يصبّ كلاهما في واد منهله حياة جميلة ملؤها الإحياء والسعادة والصّفاء ممزوجة بكأس التقدّم نطالع فيها حولة

بين شذى الحاضر وعطر الماضي واستشراف المستقبل بقيادة زعيم باسل وقائد بارع سيادة الرئيس زين العابدين بن علي فاتح أبواب هاته النعم السابعة والخيرات التي تتمتع بها بلادنا العزيزة لذا فانا أتحرّق شوقاً لبلوغي سنّ الثامنة عشر ربيعاً لمواصلة مسيرتي البرلمانية في ظلّ برلمان الشباب الذي وعدنا بتأسيسه سيادة الرئيس متيقّنين أنّ وعده حقّ تتطوّر عبر سلّم التقدّم والرفق، تكتنفها السعادة والصفاء والدعة والاستقرار بقيادة **زعيم باسل وقائد بارع سيادة الرئيس زين العابدين بن علي** فاتح أبواب هاته النعم السابعة والخيرات التي تتمتع بها بلادنا العزيزة. لذا فانا أتحرّق شوقاً لبلوغي سنّ التاسعة عشر ربيعاً لمواصلة مسيرتي البرلمانية في ظلّ **برلمان الشباب** الذي وعدنا بتأسيسه **سيادة الرئيس** متيقّنين بأن وعده حقّ.

نحن في زمن قدم فيه برلمان الطفل بخطواته الجميلة على الأودية الخضراء التي ألفت عليها الطبيعة حلّة بيضاء كبذرة تسعى إلى إنبات أزاهير جميلة تتعانق بتلاهما وغصونها أي نواة تعقد العزم على إبراز **جيل نمودجي** يتفاعل ويشعّ في تونس وخارجها يعقد العزم على النهوض بالبلاد معتزّاً بسحرها وجمالها وكأننا نتمثّل قول شاعرنا **أبو القاسم الشابي**:

أنا يا تونس الجميلة في رُجّ الهوى
قد سبحت أيّ سباحة
شرعتي حبك العتيق وإنّي
قد تدوّقتُ مرّة وقراحه

بقلم البرلمانية ذكرى الصّمي